(١١٢) سورة الإخلاص

في رحاب السورة الكريمة

سورة كريمة مكية، آياتها أربع، نزلت بعد سورة الناس، تحدثت عن صفات الله جل وعلا الواحد الأحد، الجامع لكل صفات الكمال المقصود على الدوام، الغنى عن كل ما سواه، المتنزه عن كل صفات النقص وعن المجانسة والمماثلة، وردت على النصارى القائلين بالتثليث وعلى المشركين الذين جعلوا لله الذرية والبنين.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾

معاني المفردات:

الله الصمد: هو وحده الذى يقصد فى الحوائج

كفوا: مكافئا ومماثلا

التفسير:

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين المستهترين، إن ربى الذى أعبده، والذى أدعوكم لعبادته هو واحد أحد لا شريك له، ولا شبيه له ولا نظير، لا فى ذاته ولا فى صفاته، ولا فى أفعاله فهو سبحانه واحد أحد، ليس كما يعتقد النصارى بالتثليث" الأب والابن والروح القدس" ولا كما يعتقد المشركون بتعدد الآلهه قال فى التسهيل: واعلم أن وصف الله تعالى بالواحد له ثلاثة معان كلها صحيحة فى حقه تعالى.

الأول: أنه واحد لا ثانى له ولا شريك.

الثانى: أنه واحد لا نظير له ولا شريك.

والثالث: أنه واحد لا ينقسم ولا يتبعَّض، والمراد بالسورة نفى الشريك ردا

على المشركين، وقد أقام الله فى القرآن براهين قاطعة على وحدانيته وأوضحها أربعة.

الأول: قوله تعالى ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ (النحل ١٧) وهذا دليل الخلق والإيجاد فإذا ثبت أن الله تعالى خالق لجميع الموجودات لم يصح أن يكون واحد منها شريكا له.

الثانى: قوله تعالى ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (الأنبياء ٢٢) وهو دليل الإحكام والإبداع.

الثالث: قوله تعالى ﴿ لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء ٤٢) وهو دليل القهر والغلبة

الرابع: قوله تعالى ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ (المؤمنون ٩١) وهو دليل التنازع والاستعلاء[1]. ثم أكد تعالى وجدانيته واستغناءه عن الخلق فقال ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ أى هو جل وعلا المقصود له فى الحوائج على الدوام، يحتاج إليه الخلق وهو مستغن عن العالمين ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ أى لم يتخذ ولدا، وليس له أبناء وبنات، فكما هو متصف بالكمالات منزه عن النقائص قال المفسرون: فى الآية رد على كل من جعل لله ولدا كاليهود والنصارى فرد الله تعالى على الجميع فى أنه ليس له ولد لأن الولد لابد أن يكون من جنس والده والله تعالى أزلى قديم ليس كمثله شىء، فلا يمكن أن يكون له ولد، ولأن الولد لا يكون إلا من زوجة، والله تعالى ليس له زوجة وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ﴾ (الأنعام ١٠١).

﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ أى ولم يولد من أب ولا أم، لأن كل مولود حادث، والله تعالى قديم أزلى فلا يصح أن يكون مولودا ولا أن يكون والدا، وقد نفت الأية عنه تعالى إحاطة النسب من جميع الجهات، فهو الأول الذى كان ولم يكن معه شىء غيره ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ أى وليس له جل وعلا مثيل ولا نظير ولا شبيه أحد من خلقه لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٤/٢٢٣.

ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الشورى ١١) فهو سبحانه مالك كل شيء وخالقه، فكيف يكون له من خلقه نظير يساويه أو قريب يدانيه؟[1].

الإعراب:

قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ	قل فعل أمر مبنى وفاعله مستتر تقديره أنت، هو فيه قولان: (١) ضمير الشأن لأنه موضوع التعظيم كأنه قيل الشأن هو وهو أن الله واحد لا ثانى له والجملة بعده خبر مفسرة له. (٢) ضمير عائد على ما يفهم من السياق لأنه يروى فى الأسباب التى دعت إلى نزول السورة أنهم قالوا: صف لنا ربك وانسبه. وعبارة الزمخشرى "هو ضمير الشأن كقولك هو زيد منطلق، ومحله الرفع بالابتداء والخبر الله وأحد بدل من الله أو خبر ثان.
ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ	الله مبتدأ والصمد خبر مرفوع.
لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ	لم حرف نفى وجزم يلد مضارع مجزوم بالسكون وفاعله مستتر ولم عطف على ما قبلها ويولد مضارع مبنى للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو، ولم يكن الجملة معطوفة أيضا على ما سبقها، له جار ومجرور متعلقان كفوا فى محل نصب حال وكفوا خبر يكن مقدم منصوب أحد اسم يكن مؤخر مرفوع[2].

من ألوان البلاغة

لقد تضمنت السورة الكريمة بعض الصور البلاغية نذكر منها:

- ذكر الاسم الجليل بضمير الشأن قل هو للتعظيم والتفخيم:

---

(١) صفوة التفاسير للاستاذ محمد على الصابونى ص ١٧٨٦.

(٢) إعراب القرآن الكريم وبيانه محى الدين الدرويش المجلد العاشر ص ٦١٧.

- تعريف الطرفين "الله الصمد" لإفادة التخصيص.
- الجناس الناقص "لم يلد ولم يولد" لتغير الشكل وبعض الحروف.
- التجريد فإن قوله تعالى "قل هو الله أحد" تقتضى نفى الكفء والولد وقوله تعالى "ولم يكن له كفوا أحد" وهو تخصيص الشيء بالذكر بعد دخوله فى العموم وذلك زيادة فى الإيضاح والبيان.
- السجع الجميل غير المتكلف وهو من المحسنات البديعة.

obeikandl.com